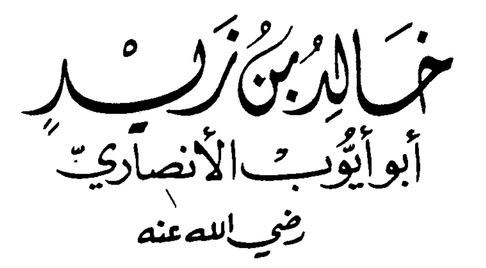
بُنَاة دَولَةِ الإسْلام

٣٢



الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَبَعْدُ:

فَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الرِّجَالِ مَا يُشْهَرُونَ بِحَادِثَةٍ وَاحِدَةٍ وَيُعْرَفُونَ بِهَا، وَتُرَدِّدُ الأَلْسِنَةُ ذِكْرَهُمْ بِسَبَبِهَا، وَرُبَّمَا لاَ يُعْرَفُ مِنْ حَيَاتِهِمْ إلاَّ هِيَ، وَلاَ يُذْكَرُونَ إلاَّ بِهَا، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مَا تَحَدَّثَ عَنْهُمْ أَحَدٌ. وَمِنْ هَؤُلاَءِ الرِّجَالِ أَبُو أَيُّوبٍ الأَنْصَارِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي خُلِّدَ اسْمُهُ بِضِيَافَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى المَدِينَةِ مُهَاجِراً إِلَيْهَا مِنْ مَكَّةَ، وَهَذِهِ الحَادِثَةُ هِيَ الَّتِي رَفَعَتْهُ إِلَى مَصَافِّ كِبَارِ الصَّحَابَةِ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمْ. وَهِيَ الَّتِى جَعَلَتِ المُسْلِمِينَ جَمِيعَاً يَعْرِفُونَهُ وَيَذْكُرُونَهُ.

وَهُنَاكَ حَادِثَةٌ أُخْرَى لأَبِي أَيُّوب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لاَ تُغْفَلُ، وَهِيَ جِهَادُهُ وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ مِنَ العُمْرِ رَغْبَةً فِي

الشَّهَادَةِ، وَاسْتِجَابَةً لِقَوْلِ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ وَقَدْ وَافَتْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ فِي الجِهَادِ عَلَى أَبْوَابِ القِسْطِنْطِينِيَّةِ فَدُفِنَ عِنْدَ أَسْوَارِهَا، فَكَانَ دَفْنُهُ هُنَاكَ حَمَاسَةً لِلْمُسْلِمِينَ فِي انْطِلاَقِهِمْ إِلَى الجِهَادِ إِلَى تِلْكَ الْجِهَاتِ لِفَتْحِ القِسْطِنْطِينِيَّةِ حَتَّى كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ أَنْ يَفْتَحُوهَا.

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ نُوَفَّقَ فِي إِعْطَاءِ صُورَةٍ صَادِقَةٍ عَنْ هَذَا الصَّحَابِيِّ الجَلِيلِ، كَمَا نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العَوْنَ فَهُوَ نِعْمَ المَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

أَبُو أَيُّوبَ

هُوَ خَالِدُ بنُ زَيْدِ بنِ كُلَيْبِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَبْدِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ غَنَمِ بنِ مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ الخَزْرَجِ.

فَهُوَ مِنَ الخَزْرَجِ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ عَدَداً إِذْ يَقْرُبُ عَدَدُهُمْ مِنْ ضِعْفِ إِخْوَانِهِمْ الأَوْسِ البَطْنِ الثَّانِي مِنَ الأَنْصَارِ.

وَهُوَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ الَّذِينَ يَعُدُّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، أَخْوَالَهُ لأَنَّ أُمَّ جَدِّه عبد المُطَّلبِ مِنهُمْ، وَهِيَ:

سَلْمَى بِنْتُ عَمْرِو بن زَيْدِ بن لَبِيدٍ النَّجَّارِيَّةُ.

وُلِدَ فِي العَامِ السَّابِعِ وَالعِشْرِينَ قَبْلَ هِجْرَةِ المُصْطَفَى عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، بِسِتَّةٍ وَعِشْرِينَ عَاماً.

وَأُمُّهُ زَهْرَاءُ بِنْتُ سَعْدِ بن قَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ امْرِىءِ القَيْسِ بن مَالِكٍ الخَزْرَجِيَّةُ أَيْضاً، فَأَبُوهُ وَأُمُّهُ مِنَ الخَزْرَجِ.

تَزَوَّجَ أَبُو أَيُّوبَ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ كَذَلِكَ، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ أُمَّ حَسَنٍ بِنْتُ زَيْدِ بن ثَابِتِ بن الضَّحَّاكَ مِنْ بَنِي مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ وَلَدَهُ عَبْدَ الرَحْمَنِ، وَقَدِ انْقَرَضَ وَلَدُهُ فَلَيْسَ لَهُ عَقِبٌ.

إِسْلاَمُ أَبِي أَيُّوبَ

بَعْدَ أَنْ رَجَعَ رِجَالُ العَقَبَةِ الأولَى مِنَ المَوْسَمِ مَعَ حُجَّاجِ بَنِي قَوْمِهِمْ وَلَحِقَ بِهِمْ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بن هَاشِمٍ لِيُقْرِئَهُمُ القُرْآنَ، ويُعَلِّمَهُمُ الإِسْلاَمَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَنَزَلَ فِي دَارِ أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ، حَتَّى لَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلاَّ وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ.

وَفِي هَذِهِ المَرْحَلَةِ اهْتَدَى أَبُو أَيُّوبَ إِلَى الدِّينِ الحقِّ وَأَسْلَمَ، وَكَانَ فِي سِنٍّ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ العُمُرِ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ حَانَ مَوْسِمُ الحَجِّ، وَرَجَعَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ إِلَى مَكَّةَ، وَخَرَجَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الأَنْصَارِ مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى المَوْسِمِ مَعَ حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ، وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَيْنَ هَؤُلاَءِ المُسْلِمِينَ مِنْ حُجَّاجِ الأَنْصَارِ.

وَاعَدَ المُسْلِمُونَ مِنَ الأَنْصَارِ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، العَقَبَةَ، مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بَعْدَ مُضِيِّ ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَوَّلِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ بَيْعَةُ الحَرْبِ، إِذْ كَانَتْ بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُولَى تُعْرَفُ بِبَيْعَةِ النِّسَاءِ.

وَعَادَ الأَنْصَارُ بَعْدَ البَيْعَةِ إِلَى المَدِينَةِ يَسْتَعِدُّونَ لاِسْتِقْبَالِ إِخْوَانِهِمْ فِي العَقِيدَةِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ المُهَاجِرِينَ إِلَى المَدِينَةِ الَّتِي سَتَغْدُو قَاعِدَةَ الحَرَكَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ.

ضِيَافَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بَعْدَ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الثَّانِيَةِ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، أَصْحَابَهُ الَّذِينَ مَعَهُ بِمَكَّةَ بِالخُرُوجِ إِلَى المَدِينَةِ،

وَالهِجْرَةِ إِلَيْهَا، واللُّحُوقِ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الأَنْصَارِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَاناً وَدَاراً تَأْمَنُونَ بِهَا. فَخَرَجُوا إِلَيْهَا جَمَاعَةً إِثْرَ جَمَاعَةٍ، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ رَبُّهُ بِالخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالْهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ.

لَمْ يَبْقَ فِي مَكَّةَ مِنَ المُسْلِمِينَ إلاَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ، وَعَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمَنْ حُبِسَ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْهِجْرَةَ، حَبَسَه ذَوُوهُ قُوَّةً وَاقْتِدَاراً، وَمَنَعُوهُ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِهِ، وَمَنْ فُتِنَ عَنْ دِينِهِ، فَتَنَهُ أَعْدَاؤُهُ فَلَمْ يُفَكِّرْ بِالْهِجْرَةِ.

وَجَاءَ الإِذْنُ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، مِنْ رَبِّهِ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِيقُ. وَانْطَلَقَا تَلْحَظُهُمَا رِعَايَةُ اللَّهِ، فَهُوَ مَعَهُمَا يَسْمَعُ وَيَرَى، وَيَخْفِقُ الكَوْنُ لِحَرَكَتِيهِمَا، وَيُرَاقِبُ سَيْرَهُمَا فَسَعَادَةُ أَبْنَائِهِ مَنُوطَةٌ بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَسِيرُ مُتَخَفِّيًا عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَمَعَهُ صَاحِبُهُ.

وَبَعْدَ اخْتِفَائِهِمَا فِي الغَارِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ جَاءَ إِلَيْهِمَا الدَّلِيلُ وَسَارَ بِهِمَا حَتَّى وَصَلَ بِهِمَا إِلَى قِبَاءَ فِي ضُحَى يَوْمِ الإِثْنَيْنِ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ.

بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، فِي قِبَاءَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ هِيَ: الإِثْنَيْنُ، وَالثُّلاَثَاءُ، وَالأَرْبِعَاءُ، وَالخَمِيسُ، وَانْتَقَلَ مِنْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى المَدِينَةِ، وَخِلاَلَ هَذِهِ الأَيَّامِ أَسَّسَ المَسْجِدَ فِي قِبَاءَ. وَأَدْرَكَتْهُ صَلاَةُ الجُمُعَةِ وَهُوَ فِي بَنِي سَالِمِ بنِ عَوْفٍ، فَصَلاَّهَا فِي المَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ وَادِي رَانُونَاءَ، وَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلاَّهَا بِالمَدِينَةِ.

وَتَابَعَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، السَّيْرَ بَعْدَهَا، وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى دَارِ بَطْنٍ مِنْ بُطُونِ الأَنْصَارِ أَتَوْهُ رِجَالُهُ فَقَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. أَقِمْ عِنْدَنَا فِي العَدَدِ وَالعُدَّةِ وَالمَنَعَةِ. فَيَقُولُ لَهُمْ: خَلُّوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، لِنَاقَتِهِ، فَيُخَلُّوا سَبِيلَهَا... حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ بَنِي مَالِكِ بنِ النَّجَّارِ، بَرَكَتْ عَلَى بَابِ مَسْجِدِهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِرْبَدٌ[1] لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَهُمَا: سَهْلُ وَسُهَيْلُ ابْنَيْ عَمْرٍو، كَانَا فِي حِجْرِ مُعَاذِ بنِ عَفْرَاءَ.

فَلَمَّا بَرَكَتْ لَمْ يَنْزِلْ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، بَعْدُ حَتَّى وَثَبَتْ وَسَارَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ التَفَتَتْ إِلَى خَلْفِهَا، وَرَجَعَتْ إِلَى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَبَرَكَتْ فِيهِ، فَنَزَلَ

---

(١) المربد: ساحة يجفف فيها التمر.

عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ، فَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوب خَالِدُ بنُ زَيْدٍ رَحْلَ رَسُولِ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيهِ وَسَلَّـم ، فَوَضَعَهُ فِي بَيْتِهِ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ رَسُـولُ اللَّـهِ، صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّـم ، عَنِ المِرْبَـدِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بنُ عَفْرَاءَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِسَهْلٍ وَسُهَيلٍ ابْنَيْ عَمْرٍو، وَهُمَا يَتِيمَـانِ لِي، وَسَأُرْضِيهُمَـا مِنْـهُ، فَاتَّخِـذْهُ مَسْجِداً. فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ، أَنْ يُبْنَى المَسْجِدُ فَوْقَ المِرْبَدِ.

بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ، ضَيْفاً فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى تَمَّ بِنَاءُ المَسْجِدِ، وَالحُجُـرَاتِ، فَانْتَقَـلَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ، مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ بَعْدَهَا إِلَـى الحُجُرَاتِ.

يَقُولُ أَبُو أَيُّوبَ: لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ، فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي السُّفْلِ ، وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي العُلْوِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي لأَكْرَهُ وَأُعْظِمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ وَتَكُونَ تَحْتِي، فَاظْهَرْ أَنْتَ فَكُنْ فِي العُلْوِ، وَنَنْزِلُ نَحْنُ فَنَكُونُ فِي السُّفْلِ ؛ فَقَالَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، إِنَّ أَرْفَقَ بِنَـا

وَبِمَنْ يَغْشَانَا أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ البَيْتِ.

قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، فِي سُفْلِهِ، وَكُنَّا فَوْقَهَ فِي المَسْكَنِ، فَلَقَدِ انْكَسَرَ حُبٌّ[1] لَنَا فِيْهِ مَاءٌ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا، مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرُهَا، نَنْشَفُ بِهَا المَاءَ، تَخَوُّفَاً أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ.

قَالَ: وَكُنَّا نَصْنَعُ لَهُ العَشَاءَ ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ البَرَكَةَ، حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً بِعَشَائِهِ، وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ بَصَلاً أَوْ ثُومَاً، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وَلَمْ أَرَ لِيَدِهِ فِيْهِ أَثَرَاً. قَالَ: فَجِئْتُهُ فَزِعَاً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، رَدَدْتَ عَشَاءَكَ وَلَمْ أَرَ فِيْهِ مَوْضِعَ يَدِكَ، وَكُنْتُ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ، نَبْتَغِي بِذَلِكَ البَرَكَةَ؛ قَالَ: إِنِّي وَجَدْتُ فِيْهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَأَنَا رَجُلٌ أُنَاجَى، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ. قَالَ: فَأَكَلْنَاهُ وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ بَعْدُ.

---

(١) الحبّ: جرّة الماء الكبيرة.

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

آخَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، بَيْنَ المُسْلِمِينَ لِيَكُونُوا كِتْلَةً وَاحِدَةً أَمَامَ اليَهُودِ فِي دَاخِلِ المَدِينَةِ وَأَمَامَ المُشْرِكِينَ وَأَعْدَاءِ الدَّعْوَةِ فِي خَارِجِ إطَارِ المَدِينَةِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مُهَاجِرِينَ وَأَنْصَارٍ، أَوْ بَيْنَ أَوْسٍ وَخَزْرَجٍ، أَوْ بَيْنَ سَيِّدٍ وَمَوْلَىً، أَوْ بَيْنَ رِجَالِ القَبَائِلِ وَحُلَفَائِهِمْ. وَكَانَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ وَأَبُو أَيُّوبَ أَخَوَيْنِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَعَاشَ أَبُو أَيُّوبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، فِي كُلِّ جَوَانِبِ الحَيَاةِ، شَهِدَ مَعَهُ بَدْراً، وَأُحُداً، وَالخَنْدَقَ وَالغَزَوَاتِ جَمِيعِهَا، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْ مَعْرَكَةٍ، وَكَانَ دَائِماً هَادِئاً صَامِتاً، لاَ تَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئاً، وَلاَ يُحْدِثُ أَمْراً لاَ يَرْضَى عَنْهُ رَسُولُهُ الكَرِيمُ.

مَعَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ

بَقِيَ أَبُو أَيُّوبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَعَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً، كَمَا كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، يُبَايِعُ، وَيَسْمَعُ وَيُطِيعُ، وَيَنْصَحُ، وَيَنْطَلِقُ إِلَى الجِهَادِ، وَمَا تَأَخَّرَ فِي سَنَةٍ عَنِ الجِهَادِ إلاَّ مَرَّةً وَاحِدَةً تَخَلَّفَ

إذِ استُعْمِلَ عَلَى الجَيْشِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ نَدِمَ، فَمَا أَنِ انْطَلَقَ الجَيْشُ حَتَّى أَخَذَ يَتَلَهَّفُ إلَى القِتَالِ وَيَقُولُ: مَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ، مَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ، مَا عَلَيَّ مَنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيَّ.

وَوَقَفَ بِجَانِبِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَشَهِدَ مَعَهُ يَوْمَ (حَرُورَاءَ). ثُمَّ بَايَعَ الحَسَنَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مَعَهُ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتْ كَلِمَةُ الأُمَّةِ، وَصَالَحَ الحَسَنُ مُعَاوِيَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بَايَعَ أَبُو أَيُّوبَ مُعَاوِيَةَ وَوَفَدَ عَلَيْهِ.

وَفَدَ أَبُو أَيُّوبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ ، أَمِيرِ البَصْرَةِ لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، فَبَالَغَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي إِكْرَامِ أَبِي أَيُّوبَ، وَقَالَ لَهُ: لأَجْزِيَنَّكَ عَلَى إِنْزَالِكَ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، عِنْدَكَ، فَوَصَلَهُ بِكُلِّ مَا فِي المَنْزِلِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ أَلْفاً. وَيُرْوَى أَنَّهُ فَرَّغَ لَهُ البَيْتَ، وَقَالَ: لأَصْنَعَنَّ بِكَ كَمَا صَنَعْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، كَمْ عَلَيْكَ؟ قَالَ: عِشْرُونَ أَلْفاً، فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفاً، وَعِشْرِينَ مَمْلُوكاً، وَمَتَاعَ البَيْتِ.

وَفَاتُهُ

عَادَ الجِهَادُ بَعْدَ أَنْ تَوَحَّدَتْ كَلِمَةُ الأُمَّةِ، وَتَجَمَّعَ أَبْنَاؤُهَا تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ، أَيَّامَ مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَعَادَ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى الجِهَادِ رَغْمَ تَقَدُّمِ سِنِّهِ وَهَرَمِ جِسْمِهِ. وَكَانَ عِنْدَمَا يُطْلَبُ مِنْهُ الرَّاحَةُ، فَقَدْ كَفَاهُ مَا غَزَاهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وَفِي أَيَّامِ الرَّاشِدِينَ يُجِيبُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾، وَلاَ أَجِدُنِي إِلاَّ خَفِيفاً أَوْ ثَقِيلاً.

وَانْطَلَقَ الغَزْوُ إِلَى بِلاَدِ الرُّومِ، وَكَانَتْ وِجْهَتُهُ القِسْطِنْطِينِيَّةَ عَنْ طَرِيقِ البَحْرِ، وَكَانَ عَلَى الجَيْشِ يَزِيدُ بنُ مُعَاوِيَةَ. وَانْتَظَمَ أَبُو أَيُّوبَ فِي الغَزْوِ مَعَ مَنِ انْتَظَمَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.

وَحَاصَرَ المُسْلِمُونَ القِسْطِنْطِينِيَّةَ، وَمَرِضَ أَبُو أَيُّوبَ، وَجَاءَ يَزِيدُ أَمِيرُ الجَيْشِ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَاجَتُكَ؟. قَالَ: نَعَمْ حَاجَتِي إِذَا أَنَا مِتُّ فَارْكَبْ بِي ثُمَّ سُغْ بِي فِي أَرْضِ العَدُوِّ مَا وَجَدْتَ مَسَاغاً، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً فَادْفُنِّي ثُمَّ ارْجِعْ. وَرُوِيَ أَنَّه قَالَ لَهُ: أَقْرِىءِ النَّاسَ مِنِّي السَّلاَمَ وَلْيَنْطَلِقُوا بِي فَلْيَبْعُدُوا

مَا اسْتَطَاعُوا. فَحَدَّثَ يَزِيدُ النَّاسَ بِمَا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ، فَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ فَانْطَلَقُوا بِجَنَازَتِهِ مَا اسْتَطَاعُوا. فَكَانَ قَبْرُهُ بِأَصْلِ حِصْنِ القَسْطَنْطِينِيَّةِ بِأَرْضِ الرُّومِ.

لَقَدْ تُوُفِّيَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يُفَكِّرُ بالجِهَادِ، فَيُرِيدُ أَنْ يَكُونَ قَبْرُهُ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ إِلَى العَدُوِّ كَأَنَّهُ فِي نِزَالٍ مَعَهُمْ، وَلِيَبْقَى المُسْلِمُونَ يَسْتَشْعِرُونَ القِتَالَ، وَأَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى التَقَدُّمِ، فَقَبْرُ صَاحِبِهِمْ لاَ يَزَالُ أَمَامَهُمْ، وَهَذَا مَا كَانَ يَحْدُثُ، فَقَدْ كَانَ مَدْعَاةً لِحَمَاسَةِ المُجَاهِدِينَ، وَانْطِلاَقِهِمْ نَحْوَ أَهْدَافِهِمْ.

رَوَى أَبُو أَيُّوبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَادِيثَ كَثِيرَةً لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، رَوَى مِنْهَا البُخَارِيُّ حَدِيثاً وَاحِداً، وَمُسْلِمُ خَمْسَةَ أَحَادِيثَ، وَرَوى مِنْهَا (بَقِيُّ بن مَخْلَدٍ) مَائَةً وَخَمْسِينَ حَدِيثاً.

حَدَّثَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ: جَابِرُ بنُ سَمُرَةَ، وَالبَرَاءُ بنُ عَازِبٍ، وَسَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَمُوسَى بن طَلْحَةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَعُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْرِ، وَعَطَاءُ بنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي لَيْلَى، وَمُحَمَّدُ بنُ كَعْبٍ وَآخَرُونَ.